قائل: متى تكون الحياة فيه؟ فالجواب: أنها تكون إذا تم له أربعة أشهر؛ كما يدل على ذلك حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا، ويؤمر بأربع كليات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد»(١)، فالأربعون الثلاث تكون أربعة أشهر.

٢- ومن فوائد هذه الآية: بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ بإحياء الموتى؛ فإنه لا أحد يستطيع إحياء الموتى إلا الله ـ عز وجل ـ؛ ولهذا لما حاج إبراهيم ذلك الرجل الذي حاجة في الله، قال له إبراهيم: «ربي الذي يخي، ويميت قال أنا أخي، وأميت). [البقرة: ٢٥٨]، فبين له إبراهيم - عليه الصلاة والسلام ـ أن ربه هو الذي يحيي ويميت؛ لأنه لا يملك ذلك إلا الله، وأما قول هذا المحاج: «أنا أخي، وأمين﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فهذا من باب التلبيس والتمويه؛ حيث زعم أنه يستطيع الإحياء والإماتة، ولما كان هذا أمرا قد يخفى على الناس، أو يلتبس عليهم، قال له إبراهيم:« فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب تبهت الذي كفر ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ـ صلوات الله عليهم ، رقم (٣٢٠٨).

3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تقرير البحث بأحسن حجة، وذلك أن الإنسان كان جمادا ميتا، ثم أحياه الله، ثم يميته مرة ثانية، ثم يحييه؛ فالقادر على إحيائه أول مرة قادر على إحيائه في المرة الثانية؛ كا قال - تعالى -: ﴿ وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده, وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال ـ تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه، قال من يحي العظم وهي -
زمين فل بخيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليه بـــــس
ع

٧٨، ٧٩]

4ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الرجوع إلى الله ـ تعـالى - للمجازاة على العمل؛ لقوله:(ثم إليه ترجعون *.

هـ ومن فوائدها: أنه ينبغي للإنسان أن يستعد لهذه الرجعة إلى الله؛ لينظر ماذا يقابل به ربه؟ فليحرص على ألا يفقـده الله حيـث أمـره، أو يراه حيث نهاه؛ لأنه سوف يرجع إلى الله وينبئه بعمله.

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الموت قد يطلـق عـلى الـشيء الذي لم تسبق موته حياة؛ لقوله (وكنتم أمواتا فأحيكم»؛ فإن المراد بالميت ـ هنا ـ من لم تنفخ فيه الروح.

ج
ثم قال الله ـ عز وجل -: « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسونهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ؟ . قولـه ـ تعالى ـ: « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا »؛ أي: أوجده لكم لمنافعكم ومصالحكم؛ عناية بكم ورحمة، و«ما» هنـا: اسـم موصول عام شامل لكـل مـا في الأرض، وأكـد هـذا العمـوم بقولـه جميعا، ثـم بعـد خـلـق هـذا * أستوى إلى السماء * عـلا إليهـا، فسونهن سبع سموات*؛ أي: أتمهن وأكملهن سبع سماوات، * وهو بكل شيء عليم»؛ فهو مع علوه ـ عز وجل ـ على هذه السموات السبع لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، بل هـو بـكـل شيء عليم، وهذه الآية لها صلة بها قبلها؛ حيث تدل على عناية الله - سبحانه وتعـالى بنا، وتيسيره، وتسهيله.

فوائد هذه الآية الكريمة:
1- أن الخالق هو الله - عز وجل - هو الذي خلق لكم ما في الأرض و جميعا ، وأنه لا خالق إلا الله، وقد تحدى الله - سبحانه وتعالى - الخلق أن يخلقوا شيئا ولو قل؛ كما في قوله: « إن الذين تدعوت من دون الله لن تتخلقوا ذبابا ﴾ [المؤمنون: 73]، وكما في قوله - تعالى -: أفرءيتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخلفون﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]،

وقوله: «أفرءيتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخلفون﴾ [الواقعة: 63، 64]، وقوله - تعالى -: «أفرءيتم الماء الذي تشربون في أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ [الواقعة: 68، 69]، وقوله: «أفرءيتم النار التي تورون و أنتم أنشائم شجرتها أم نحن المنشوت ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢]؛ فالله ـ تعالى ـ هو الخالق لكل ما في الأرض.

٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأصل في كل مـا في الأرض مـن أعيان ومنافع الحل والإباحة؛ لأن اللام بمعنى الإباحة هنا؛ فكل مـا في الأرض من الأعيان والمنافع الأصل فيه الحل، ومن ادعـى تـحـريـم شيء منه فعليه الدليل، وهذه القاعدة قاعدة مهمة نافعة تنفعك في كثير مـن المسائل، فعندما يختلف اثنان في حـل هـذا المأكول أو تحريمـه نـقـول: الأصل الحل، فمن يدعي أنه حرام عليه الدليل، وعندما يختلف اثنـان في عمل في الأرض، من حراثة أو غيرها، فإننا نقول: الأصل الحـل إلا ما قام الدليل على تحريمه؛ وعلى هذه القاعدة يجـوز للإنسان أن يتمتع بكل ما في الأرض من مأكول ومشروب، ولا حرج عليـه في ذلـك إلا أن يقوم دليل على التحريم.

ولو تنازع رجلان في حل حيوان، فقال أحدهما: هذا حلال، وقـال الثاني: هذا حرام؛ فإن القول: قول من يقول بأنـه حـلال حتى يوجـد مدعي التحريم دليلا على أنه حرام.

3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان فضل الله ـ عز وجل ـ عـلى عباده؛ حيث وسّع لهم هذه التوسعة البالغة بأن كل ما في الأرض فهـو
حلال لهم.

ج
٤- ومن فوائدها: أن الأرض خلقت قبل السماء؛ لقوله ـ تعالى ـ: و خلق لكم ما في الأرض

جميعا ثم أستوى إلى السماء فسولهن، وهذا هو الذي تدل عليه آية فصلت؛ كما قال ـ تعالى :
(قل أينكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذالك رب العالمين (
وجعل فيها رواسي من فوقها وبترك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للشايلين
ع ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أنتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طابعين :
ففضلهن سبع سنوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصبيح
وحفظا ذالك تقدير العزيز العليم ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢] وأما الآيات في قوله ـ تعالى ـ: (أنتم أشد
خلقا أمر السماء بنها ي رفع سمكها فسونها ن وأغطش ليلها وأخرج ضمنها (والأرض بعد
ذالك تحتها و أخرج منها ماءها ومرعنها والجبال أرسلهاي متعال ولانعلمك ﴾ [النازعات: ٢٧ -
٣٣] فإنها لا تنافي هذه الآية، ولا آية فصلت؛ لأن قوله: «والأرض بعد ذلك دحتها * يدل على
أن دحو الأرض كان
ع
بعد خلق السماء، وأما خلق الأرض فإنه كان سابقا على خلق السماء.

ا
هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمـة: إثبـات علـو الله ـ عز وجل - بذاته؛ لقوله: « ثم استوى إلى
السماء ، وقد سبق أن ذكرنا هذا، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ فوق عباده، وأن له العلو المطلق،
علو الذات، وعلـو الصفة؛ فعلو الذات هو أنه ـ سبحانه وتعالى ـ فـوق كـل شيء، وعلـو الصفة
هو أن جميع صفاته عليا كـامـلـة، ليس فيهـا نقـص بـوجـه مـن الوجوه، وهذا مذكور في عدة
آيات من القرآن؛ في قوله: «قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ [المؤمنون:
86]، وفي قولـه: «الله الذي خلق سبع سنوات ومن الأرض مثلهن ﴾ [الطلاق: ١٢]، ، "ما الأرض
فلم تذكر صريحة بهذا العدد في القرآن الكريم، ولكن في القرآن إشـارة إلى أنها سبع؛ وذلك
في قوله ـ تعالى ـ: « الله الذي خلق سبع سنوات ومن الأرض مثلهن ﴾ [الطلاق: ١٢]، فإن
المثلية هـنـا ليست في الصفة ولا في الحجم؛ لأن السماء أعظـم مـن الأرض، وأوسع، وأكبر،
ولكنهـا في العدد، وأما السنة فقد جاءت صريحة بأن الأرضين سبع: «مـن اقتطـع شبرا من
الأرض ظلها؛ طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين»). 6 ـ ومن فوائد هذه الآية
الكريمة: عموم علم الله، وأنـه ـ سـبحانه وتعالى ـ عليم بكل شيء، وهذا مكرر في القرآن الكريم
كثيرا؛ مثل قوله ـ تعـالى -: « لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم (٣١٩٨)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم (١٦١٠)، واللفظ له.

عاما﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذا العلم علم كامل ليس فيه نقص بوجه من الوجوه؛ لقوله ـ تعالى ـ: « إن الله لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ [آل عمران: 5]، وقوله: «وما يعرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾ [يونس: 61].

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ قال ربك للملتبكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون .

. في هذه الآية الكريمة يبين الله - سبحانه وتعالى ـ لعباده ما جرى بينه وبين الملائكة حول خلق آدم وذريته، فيقول * وإذ قال ربك، وهذا التركيب كثير في القرآن؛ أعني: «إذ» التي تُبدأ بها القصة، قال أهل العلم: وهي منسوبة لفعل محذوف تقديره «اذكر». وإذ قال ربك للملتيكة إني جاعل في الأرض خليفة »، والملائكة هم عالم غيبي خلقوا من نور، خلقهم الله - عز وجل ـ لعبادته؛ فقاموا بها؛ فكانوا يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ أنه جعلهم رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، قال لهم ـ عز وجل -: إني جاعل في الأرض خليفة»، خليفة لمن سبقه؛ وذلك لأن الجان قد سبق خلقهم خلق آدم؛ كما قال ـ تعالى ـ * ولقد خلقنا الإنسان من

صلصل من حمإ مسنون ع والجان خلقته من قبل من نار الشموم »
[الحجر: ٢٦، ٢٧]

وكان الجن قد أفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فلما قال الرب -عز وجل - للملائكة: «إني

جاعل في الأرض خليفة ← قالوا مستفهمين: «قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء مستفهمين بهذا الاستفهام؛ لأنهم يعلمون أن الله ـ تعالى ـ لن يفعل شيئا إلا لحكمة، فقال الله لهم: «إني أعلم ما لا تعلمون»؛ يعني: أن عنده ـ عز وجل ـ من العلم ما ليس عند الملائكة، وهو عالم ـ جل وعلا ـ بأن هذه الخليفة سيكون منها الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، ونعم الخليفة يكونون لمن سبقهم.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:

1- إثبات القول الله ـ عز وجل، وأنه يقول بصوت مسموع وحروف متتالية؛ لأن هذا هو الكلام المعروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وعلى هذا جرى السلف الصالح ومن تبعهم من الأئمة بأن الله ـ تعالى ـ يتكلم بكلام مسموع بحروف متتالية، وأنه يقول كذلك قولا بحروف متتابعة، وصوت مسموع، والأدلة على ذلك كثيرة جدا.

٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: عناية الله ـ عز وجل ـ برسوله

محمد ﷺ؛ وذلك بإضافة ربوبيته ـ تعالى ـ إليه؛ أي: إلى الرسول ﷺ حيث قال: «وإذ قال ربك للملتبكة » ، والربوبية الخاصة تقتضي عناية أكثر وأتم؛ وذلك أن ربوبية الله ـ تعالى ـ عامة وخاصة؛ فالعامة الشاملة لجميع الخلق المقتضية للملك والتدبير، تدبير شئون الخلق عموما؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: (قل أعوذ برب الناس و ملك الناس إله الناس (من شر الوسواس الخناس و الذي يوسوس في صدور الناس لها من الجنة والناس ﴾ [الناس: ١-٦].
فقال: (قل أعوذ برب الناس ﴾ [الناس: 1]، عموما الآيات في هذا

كثيرة.

وأما الربوبية الخاصة: فهي التي يضيفها الله ـ عز وجل ـ إلى سادات البشر؛ كالأنبياء ونحوهم.

3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الملائكة؛ لقوله: «وإذ قال ربك للملتيكة»، وأن الملائكة لهم عقول؛ فهم يتكلمون ويحاورون؛ فإن الله ـ تعالى ـ قال لهم: «إنى جاعل في الأرض خليفة »، وفي هذا

إبطال لقول من قال: إن الملائكة عبارة عن القوى الخيرية أو الخيّرة، وليست أجساما تتكلم أو

تسمع؛ فإن هـذا قـول باطـل يـرده الكتـاب والسنة وإجماع الأمة.
٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات قيام الأفعال بالله ـ عز وجل ؛

لقوله: «إني جاعل في الأرض خليفة »؛ فإن الجعل يقتضي إيجـاذا بعـد عدم، وهو كذلك، والله ـ عز وجل ـ موصوف بصفات الذات اللازمة لذاته، وبصفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وحكمتـه، هـذا هـو مـذهب السلف وأئمة الأمة.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى أن للأرض عمّارا قبل آدم وذريته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إني جاعل في الأرض خليفة »؛ أي: يخلفون من سبقهم.

6 ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأمم السـابقة على آدم وذريته كان فيهـم مـن الـشر، والفسـاد، وسـفـك الـدمـاء مـا اقـتـضـى أن تـسـأل الملائكة ربها ـ عز وجل ـ: هل يجعل في هذه الخليفـة مـن يـكـون كـمـن سبقهم؟ لقولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . . ومن فوائد هـذه الآية الكريمة: تعظـيـم شـأن الـدماء؛ ولهـذا خصتها الملائكـة بـالـذكر في قـولهم: «من يفسد فيها ويسفك الدماء » وإلا فمن المعلوم أن سـفـك الـدمـاء مـن الفساد في الأرض، لكـن لمـا عطف على العام وهو خاص؛ دل ذلك على أهميته، وأنـه مـن أعـظـم الفساد في الأرض.

ه. ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الملائكـة ـ عـلـيـهـم الـصلاة والسلام ـ قد شغلوا أوقاتهم في تسبيح الله وتقديسه؛ وتسبيح الله معناه

تنزيهه عن كل عيب ونقص؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ منزه عـن العـيـوب والنقائص، سواء أكان النقص في صفة كاله، أو كـان نقـضـا مـستقلاً، وكذلك نقول في العيوب؛ فينـزه الله ـ تعـالى ـ عـن الـوصـف بـالعجز، والجهل، والعمى، والموت، وما أشبه ذلك من الصفات

الناقصة، وتُنزه صفاته الكاملة عن أن يلحقها شيء من النقص؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب» [ق: ٣٨]، فمع خلق هـذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة القصيرة لم يلحقه ـ عز وجل ـ لغوب؛ وهو التعب والإعياء، وينـزه - عز وجل ـ عن مشابهة المخلوقين؛ لأن مشابهة الناقص نقص؛ قال الله ـ تعالى -: (وهو السميع البصير [الشورى: 11]، إذن الـذي ينـزه الله عنـه ثلاثة أشياء: مشابهة المخلوقين، والنقص المجرد، والنقص في صـفات كـالـه. وقـولهم ـ أي: الملائكـة -: «ونقدس لك، ولم يقولـوا: (نقدسـك)، يستفاد منه إخلاص الملائكة الله - عز وجل -؛ فإن اللام هنا للاختصاص، وإلا فإن الفعل يتعدى بنفسه، لكن عدي بـاللام إشـارة إلى إخلاصهم، وأن التقديس خالص لله ـ تعالى ـ وحده. 9ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان كمال علم الله؛ لقوله: «إنى أعلم ما لا تعلمون ؟ .

١٠ـ ومن فوائدها: إثبات التفضيل في صفاته؛ حيث قال: «أعلم

ما لا تعلمون »، وفي ذلك رد على من إذا مروا على مثل هذه الآية التي فيها اسـم التفضيل حولـوا اسـم التفضيل إلى اسـم فـاعـل. وقـالوا: «أعلم»؛ أي:«عالم»؛ فإن هذا صرف للكلام عن ظاهره بـلا دليـل، وفي الوقت نفسه هو تنقيص من المعنى؛ لأن«أفعل التفضيل» تمنع المشاركة في الكمال، لكن اسم الفاعل» لا يمنع المشاركة في الوصف، بل لا يمنع المساواة والماثلة أيضا، وفي هذا دليل على نقص علـم المخلـوق؛ وعـلى هذا فإذا أشكل عليك شيء فكل علمـه إلى مـن هـو بـكـل شيء علـيم، وهو الله - عـز وجل ـ.

ثـم قـال الله ـ تعـالى -: «وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملئيكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين قالوا سبحنك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

يخبر الله - عز وجل ـ في هاتين الآيتيـن عـن تعليمـه لآدم ـ وهـو أبو البشر ـ الأسماء كلها؛ فقد علمه أساء كل شيء يحتاج إليه البشر، ثـم عرض هذه المسميات على الملائكة؛ فقال: «أنبونى * ؛ أي: أخـبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين » ؛ ليريهم ـ عز وجل ـ مقدار علمه، وأن علمهم ناقص؛ حيث جهلوا أسماء هـذه المسميات، فإذا جهلـوا أسماء هذه المسميات؛ فإنهم بجهل المستقبل لهذه الخليفة التي أخـبرهم

الله ـ تعالى ـ بأنه سيجعلها في الأرض مـن بـاب أولى وأحـرى، وقـال: ثم عرضهم ولم يقل:«عرضها»؛ أي: الأسـاء؛ لأنـه عـرض عليهم المسميات؛ كـا يـدل عليه قوله: «فقال أنيثونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين ، فيما عندكم من العلم، وقالوا سبحنك؛ أي: ننزهـك أن يكـون لـديـنـا عـلـم بـشيء، ولا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم.

فوائد هاتين الآيتين:

ا- في هاتين الآيتين إظهار الله - عز وجل ـ لفضل آدم؛ حيث علمه ـ سبحانه وتعالى ـ أسـاء كـل شيء يحتاج إليـه؛ لقوله: «وعلم ادم الأسماء كلها ؟.

٢ـ ومن فوائدها: حكمة الله - سبحانه وتعالى ـ في امتحان الملائكـة بعرض هذه المسميات التي علم آدم بأسمائها حتى يتبين نقصان علمهم. ٣ـ ومن فوائدها: إثبات كـلام الله - عز وجل ، وأنـه بـصـوت مسموع وحروف متتابعة؛ كما في قوله: «أنيثونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين *

4 - تنزيـه الملائكـة الله - عز وجل ـ وتعظـيـمـهـم لـه لـقـولهم: سبحنك ، وقد سبق ـ فيما مضى ـ ذكر ما ينزه الله عنه من النقائص، والعيوب، ومماثلة المخلوقين.

هـ أن جميع العلوم التي عند المخلوقات من عند الله؛ لقول الملائكة: «لا علم لنا إلا ما علمتنا * وإن كان هذا في الملائكة الذين هم من المزية والفضل ما هم أهل له، فغيرهم من باب أولى؛ ولهذا لا أحد يحيط بعلم الله؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يشوده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

رج
ع
ع

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات اسمين من أساء الله؛ وهما: «العليم» و«الحكيم»؛ فأما العليم: فهو ذو العلم الكامل المحيط بكل شيء، وقد سبق لنا بيان إحاطة علم الله ـ تعالى ـ بكل شيء جملة وتفصيلا، وأما الحكيم: فهو من الحكم والإحكام أيضا؛ فالله ـ تعالى - له الحكم في الأولى والآخرة، له الحكم الكوني والشرعي؛ فلا حاكم في الخلق إلا الله، ولا حاكم بينهم إلا الله، وأما الحكمة أو الإحكام: فهو إتقان الشيء بحيث يكون كل شيء في موضعه؛ ولهذا قالوا: الحكمة هي وضع الشيء في مواضعه، وبذلك يتبين كال الله ـ عز وجل ـ في العلم والحكمة.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «قال يتقادم أنبتهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمونه.

في هذه الآية ينادي الله ـ عز وجل ـ آدم، فيأمره أن ينبئ الملائكة بأسماء هؤلاء المسميات؛ من أجل أن يظهر فضل آدم بها أعطاه الله من علم هذه الأسماء ومسمياتها، فلا أنبأهم آدم بأسمائهم؛ أي: بأساء هذه المسميات، قال الله ـ تعالى ـ مخاطبا الملائكة: «ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض؛ أي: ما غاب في السموات والأرض عن مشاهدة غير الله - عز وجل ، ويشمل هذا ما غاب عن المخلوقين في مكان آخر ليسوا فيه، وما غاب عن المخلوقين من علم المستقبل، وكون الله ـ عز وجل ـ يعلم غيب السموات والأرض يقتضي ـ في الأولوية - أن يكون عالما بالشهادة، وقال: «وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»؛ أي: ما تبدونه وتظهرونه، وما كنتم تكتمون فلا تبدونه.

من أحكام وفوائد هذه الآية:
1ـ إثبات كلام الله ـ عز وجل ـ، وأنه يتكلم بصوت مسموع وحروف متتابعة، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله يتكلم
بصوت مسموع وحروف متتابعة، يسمعه المخاطب ويفهمه. ٢ـ وفيها من الفوائد العظيمة:

المعنى النفسي القائم بالنفس؛ فإن الكلام بهذا المعنـى لـيـس بـكـلام ولا
يسمع.
3ـ ومـن فـوائـد هـذه الآية الكريمة: فـضـل آدم ـ عـلـيـه الـصلاة والسلام ـ با علمه سبحانه وتعالى من هذه الأسماء ومسمياتها. ٤ـ ومن فوائدها أيضا: منة الله - سبحانه وتعالى ـ على الملائكـة بـا أظهر لهم من علمه، وأنه محيط بكل شيء؛ فإن مـن تمـام نعمـة الله عـلى عبده أن يبين له الحق بالطرق التي يطمئن إليها، ولو شاء الله - عز وجل ـ لم يبين الحق، ولترك الإنسان يعمه ويضيع في ضلاله؛ ويتفرع على هذا أنه يجب على الإنسان أن يشكر الله - سبحانه وتعالى ـ على ما يعلمه الحق الذي قد يضل عنه كثير من الناس.
من

هـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عموم علـم الله؛ لقوله: «ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض»، وذلك أن العالم بالغيـب عالم بالشهادة من باب أولى.

6 ـ ومن فوائدها أيضا: تذكير المخاطب با كان من قبـل؛ لأن الله - تعـالى ـ قـال للملائكـة: « ألم أقل لكم إني أعلم غيب الشموت والأرض، يقرر ذلك ـ عز وجل ـ عليهم؛ ليبين لهم أن ما قاله لهم هو الحق المطابق للواقع.
ـ ومن فوائدها: عموم علم الله - سبحانه وتعالى ـ با فعله خلقـه؛

لقوله: «وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمونه.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن للملائكة إرادة وقدرة على أعمالهم وأفعالهم، وهذا فيه تكذيب دعـوى مـن ادعى أن الملائكـة لـيس لهـم عقول، بل الملائكة لهم عقول بلا شـك، ولهم إرادات، ولهم قـدرة على الأعمال، يؤخذ هذا من قوله: «وأعلم ما تبدون وما كنتم

تكتمون»؛ فإن هذا يدل على أن الملائكة تبدي مـا تبـدي، وتكـتـم مـا تـكـتـم، وهـذا لا يكون إلا عن علم، وإرادة، وقدرة.
ثـم قـال ـ تعـالى -: (وإذ قلنا للمليكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكفرين ﴾ [سورة البقرة: 34]. في قوله: «وإذه كلمة مقدرة يبينها السياق، والتقـدير: «واذكـر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم»؛ يعني: اذكر هذه القضية، منوهـا بـفـضـل آدم ـ عليه الصلاة والسلام؛ حيـث أمـرت الملائكـة أن يسجدوا لـه؛ تعظيها واعترافا بما وهبه الله من الفضل، لكن هذا السجود ليس سجود عبادة يكون كسجود المخلوق للخالق، بل هو سجود تعظيم مجـرد مـن التعبد، وقوله: «وإذ قلنا للملتيكة» يشمل جميع الملائكة؛ لأن الأصـل في صيغة العموم أن تكون شاملة لجميع أفرادها ما لم يكن هناك دليـل على التخصيص، أو إرادة التخصيص.
وبين الله - عز وجل ـ أن الملائكة لما أمروا بالسجود لآدم سجدوا

ولم يستنكفوا عن أمر الله - عز وجل ـ إلا إبليس؛ فإنـه أبى واستكبر؛ أبى أن يسجد، واستكبر عن السجود، والجمع بين الإبـاء والاستكبار يدل على أن إباءه لم يكن لعذر أو لمانع يعذر به، وإنما كان عـن اسـتكبار في قلبه، وقد بين الله - سبحانه وتعالى ـ في آيـات أخـرى سـبـب إبائـه واستكباره؛ حيـث قـال: « قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال: « أسجد لمن خلقت طينًا ﴾ [الإسراء: 61]. وقوله هنا: «إلا إبليس» اختلف أهل العلم في هذا الاستثناء هـل استثناء متصل أم هو استثناء منفصل؟ فمنهم من قال: إن الاستثناء هنا متصل؛ لأنه الأصل في الاستثناء؛ أي أن الأصل في الاستثناء أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ومنهم مـن قـال: إن الاستثناء منقطع؛ أي أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه؛ واسـتـدل هـؤلاء بقولـه - تعـالى - : * إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه * الكهـف: 50]، فقـال: «إن إبلـيـس كـان مـن الجـن»، ويقـول النبي ﷺ : خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»، وهذا القول أرجح، لكنـه يـشـكـل عـلـيـه كـيـف يكون إبليس من غير الملائكة ويصح أن يتوجه إليه الخطاب في قوله: هو
واسجدوا لأدم ؟؟

(1) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٩٦).

والجواب عن هذا أن نقول: صح أن يتوجه إليه الخطاب؛ لأنه كـان في عامتهم؛ أي: أنه كان معهم يعمل بعملهـم، ويتعبـد كـا يتعبـدون، لكن غلب عليه الطبع الخبيث، فلا أمر بالسجود لآدم رأى أنـه فـوق مرتبـة آدم، وأن الأعـلى لا يمكـن أن يعظـم الأدنى، فحملـه إعجابـه بنفسـه، واحتقاره لآدم على أن يستكبر عن أمر الله ـ عز وجل ، وبهذا يزول الإشكال، وهنا قال: «أبى واستكبر وكان من الكفرين » ؛ كـان من الكافرين بإبائه واستكباره؛ وعلى هذا فلا تكون «كان» هنا دالة على المضي، ومنهم من قال: إن «كان» دالة على المضي، ولكنـه كـان في علـم الله من الكافرين، والأول أصح؛ أي أن المراد بهـا مجـرد بـيان اتـصاف اسمها لخبرهـا، وهـذا مـوجـود في القرآن كثيرا؛ أي أن تـأتي «كـان» مسلوبة الدلالة على الزمن، ويكون المراد بها مجرد تحقيق الصفة، ويقـع ذلك كثيرا في صفات الله ـ عز وجل ؛ ألم تر إلى قوله : (وكان الله عليما حكيمًا ﴾ [النـــــاء: 17]، وقولـه: (وكان الله غفورا رحيما » ﴾ * *
[النساء: 96]، مع أنه لم يزل ولا يزال كذلك؟

فوائد هذه الآية الكريمة:

ا- بيان فضيلة آدم؛ حيث أمر الملائكة الكرام بأن يسجدوا له.

٢- أن عبادة الله هي طاعته حتى في الأمر الذي لولا أمره بـه لـكـان شركا؛ فالسجود لغير الله شرك، ولكن إذا كان بأمر الله كان طاعة؛ كا

أن قتل النفس التي حرم الله بغير حـق مـن كـبـائـر الـذنوب، وإذا وقع امتثالا لأمر الله كان من الطاعة؛ فهذا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام - أمره الله أن يقتل ابنه، وقتله من كبائر الذنوب بلا شك، ومع ذلك كان امتثال إبراهيم لهذا الأمر من أرفع المقامات لإبـراهيم ـ عـلـيـه الـصلاة والسلام ـ، ولكن الله ـ عز وجل ـ لما ابتلاه واختبره بهذا الأمر العظيم، وعلم ـ عز وجل ـ أنّ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ منفـذ لأمـره حتى تله للجبين ليذبحه نزل الفرج من الله -

سبحانه وتعالى ـ بنسخ هذا الأمر: « وفدينه بذبح عظيم ﴾ [الصافات: ١٠٧]، أقول: إن في هـذه * الآية دليل على أن الشيء قد يكون كفرا أو كبيرة فإذا وقع بأمر الله كـان
طاعة وقربة.

من
3ـ ومن فوائد الآية الكريمة: إجراء الأحكام على الظاهر، وأن من كان متظاهرا بعمل قوم فهو منهم ظاهرا؛ ولهذا صـح توجـه الخطـاب الله للملائكة إلى إبليس مع أنه ليس من جنسهم، لكنه لما كان فيهم يعمل عملهم توجه الخطاب إليه، وهكذا كان الرسول ﷺ يعامـل مـن تلبس بالإسلام ظاهرا معاملة المسلمين؛ ولهذا لم يقتل المنافقين مع أنهـم كفار؛ كما قـال ـ تعالى ـ: « ذلك بأنهم ءامنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ [المنافقون: 3]، لكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عـاملهم
معاملة الظاهر.

٤ـ وفي هذه الآية الكريمة من الفوائد الحذر من الرجس والسريرة الخبيثة؛ لأن إبليس غلبه ما في قلبه من الرجس والسريرة الخبيثة حتى استكبر وأبى؛ فرجع إلى أصله، فالواجب على المرء الحذر من مثل هـذه السريرة التي تكون في القلب، وأن يصقل قلبـه دائـما منـهـا؛ حتى لا توقعه في الهلاك، وقد صح عن النبي ﷺ: أن الرجل يعمل بعمل أهـل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار؛ ففي الصحيحين عـن سـهـل بـن سـعـد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ التقى هـو والمشركون فاقتتلوا، فلما مـال رسـول الله ﷺ إلى عسكره، ومـال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسـول الله رجـل لا يـدع لهـم شاذة ولا فاذة)، إلا اتبعه يضربه بسيفه؛ فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان؛ فقال رسول الله ﷺ:«أما إنه من أهل النار»؛ فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه، كلـما وقـف وقـف مـعـه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامـل عـلى سـيفه؛ فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسـول

(1) أي: أنه لا يدع أحدا؛ على طريق المبالغة، قال ابن الأعرابي: يقال: فلان لا يدع شاذة ولا فاذة إذا

كان شجاعا، لا يلقاه أحد إلا قتله.

(٢) ذباب السيف: طرفه.

الله، قال:«وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهـل النـار، فأعظم الناس ذلك، فقلتُ: أنا لكم به، فخرجتُ في طلبه ثم جـرح جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سـيفـه بـالأرض وذبابه بين ثدييه، ثـم تحـامـل عـليـه؛ فقتـل نـفـسـه؛ فقال رسول الله ﷺ عـنـد ذلك:«إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهـل النّار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهـل الجنة»(1)، وهذا يدل على أن في قلب الرجل سريرة أدت به إلى أن يقتـل نفسه، فالواجب على المرء أن يتفقد قلبـه في كـل وقـت وفي كـل حـين؛ حتى يطهره ويمحصه؛ لئلا تسوء خاتمته.

5ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ترك السجود الله - عز وجل - كفر، وقد استدل بهذه الآية من قال: إن تارك الصلاة يكفـر، فقـال: إن إبليس كفر؛ لترك سجدة واحدة أمر بها لغير الله، فما بالـك بـمـن يـترك صلاة أمر الله بها، وأن تكون لنفسه ـ عز وجل ، فيكـون كـفـره مـن باب أولى، والاستدلال بهذه الآية على هذه المسألة فيه شيء من البحـث والنظر ـ والله أعلم.

(1) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يقال فلان شهيد، رقم (٢٨٩٨)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١٢).

ثـم قـال الله ـ تعالى ـ: « وقلنا يتقادم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين *. في هذه الآية الكريمة يخبر الله ـ عز وجل ـ أنه قال لآدم ممتنا عليه : أسكن أنت وزوجك الجنة »، وزوجه هي حواء التي خلقها الله ـ تعالى من ضلع آدم؛ فهي من أب بلا أم، والمراد بالجنة: إما جنة الخلـد التي هي مأوى المتقين، وإما جنة في الدنيا، بستان ذو أشجار كثيرة، للعلـاء في هذا قولان؛ القول الأول: أنها جنة المأوى التي هـي مـأوى المتقين، والقول الثاني: أنها جنة في الدنيا في الأرض، وهي عبارة عن بستان ذي أشجار كثيرة، والأقرب ـ والله أعلم ـ أنها جنة المأوى، جنة الخلد التـي وعد المتقون؛ لأنها هي المعلومة

عند الإطلاق، والأصل أنه إذا كان للّفظ
معنى مفهوم عند الإطلاق؛ فإنه يحمل عليه إلا بدليل يدل على خلاف ذلك، وهذه القاعدة مفيدة في علم التفسير وغيره، أن الأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليل على
خلاف ذلك.

وأذن الله لها أن يأكلا من هذه الجنة رغدا بطمأنينة، وسعة، وكثرة حيث شاءا من أي مكان إلا أنه ـ سبحانه وتعالى ـ نهاهما عن قرب شجرة عينها لها بالإشارة فقال: «ولا تقربا هذه الشجرة ؟ ـ ولم يبين الله - سبحانه وتعالى ـ جنس هذه الشجرة؛ لأنه ليس هناك ضرورة إلى

معرفة جنسها، المهم معرفة القضية ومغزاها، وبيّن ـ سبحانه وتعالى - أنها إذا قربا هذه الشجرة وأكلا منها؛ فإنها يكونان من الظالمين، الظالمين لأنفسها؛ لتعرضها لما حصل؛ حيث أخرجها أكلها من
الجنة.

من فوائد هذه الآية:
1ـ إثبات القول الله، وأنه ـ عز وجل ـ يخاطب من شاء من عباده بصوت مسموع وحروف مرتبة (وقلنا يتقادم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا ﴾ الآية.

٢ـ ومن فوائدها: امتنان الله - سبحانه وتعالى ـ على آدم؛ حيث أسكنه وزوجه الجنة.
3ـ ومن فوائدها: بيان قدرة الله ـ جل وعلا ـ حيث خلق حواء من ضلع آدم من أب بلا أم، قال أهل الجنة: والإنسان باعتبار مبدإ خلقه أربعة أقسام: قسم خلق بلا أم ولا أب؛ مثل آدم؛ فإن الله خلقه من تراب ثم قال له: كن؛ فكان، وقسم خلق من أب بلا أم وهي حواء؛ خلقت من ضلع آدم، وقسم خلق من أم بلا أب وهو عيسى ابن مريم، والقسم الرابع من خلق من أبوين؛ أي: من أم وأب وهم سائر البشر، ومع هذا فإن الله ـ تعالى ـ يخلق ما يشاء و يهب لمن يشاء إننا ويهب لمن يشاء الذكور من أو يزوجهم ذكرانا وإننا وتجعل من يشاء

عقيما ﴾ [الشورى: ٤٩ ـ 50]، ففي هذه ـ أيضا ـ أن الناس أربعة أصناف من حيث الإنجاب وعـدمـه؛ فمنهم من يهبه الله ذكورا بلا إناث، ومنهم من يهبه الله إناثا بلا ذكـور، ومنهم من يزوجه الله؛ أي: يجعل نسله صنفين، والزوج بمعنى الصنف في هذه الآية، ولها نظائر؛ أي: أن الزوج يراد به الصنف؛ كما في قوله: (وءاخر من شكله أزواج » [ص: 58]، وقوله: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات: ٢٢]؛ أي: أصنافهم ونظراءهم، والصنف الرابع من يجعله عقيما لا يولد له، وكل هذا بقدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحكمته.

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان ربما يختار ما هو أدنى على ما هو خير، لما تسول به نفسه له، فهنا آدم وحواء أذن الله لهـا أن يـأكلا رغدا مـن حيـث شـاءا ومنعهـا مـن شـجرة واحـدة (ولا تقربا هذه الشجرة» ومع ذلك حصلت منها مخالفة.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن التعيين يـكـون بالإشارة كا يكـون بـالنطق؛ لقوله: (ولا تقربا هذه الشجرة»؛ ولهـذا لـو قـال الرجل: «زوجتي هذه طالق»؛ طلقت، وإن لم يسمها، ولو قال الرجـل: «زوجتك ابنتي هذه»؛ انعقد النكاح وإن لم يسمها مـا دامـت تعينـت بالإشارة، فالمهم أن في الآية دليلا على أن التعيين، كـا يـكـون بـالنطق يكون ـ أيضا ـ بالإشارة.

6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه إذا أريـد حمـى المحـارم نهـي عـن قربها، وذلك حيث تدعو النفس إلى فعل هذا المحرم والقرب منه، فـإن
النهي يأتي عن قربه؛ كما في قولـه ـ تعالى ـ: (ولا تقربوا الزي إنه كان فحشة وساء سبيلا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقـال ـ تعـالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [الإسراء: 34]؛ فإن الزنى قـد تـدعو النفس إلى قربه وانتهاكه، وكذلك مال اليتيم لما لم يكن له من يحميه فإن النفس قد تتجرأ عليه فنهي عن قربه.

ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإقدام على المحارم ظلم؛ لقوله: «فتكونا من الظالمين»، ووجه كونه ظلما أن نفس الإنسان عنده وديعة وأمانة فيجب عليه أن يرعاها حق رعايتها، وألا يقدم على شيء يكون فيه مضرتها، فإن فعل فقد ظلمها؛ كما قال الله ـ تعالى -: ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ البقرة: 57]، وقال: (وما ظلمتهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ [هود: 101]، والآيات في هذا المعنى
كثيرة.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى : (فأزلهما الشيطن عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكن في الأرض مستقر
ومتنع إلى حين ؟ .

قوله: «فأزلهما »؛ أي: أوقعها في الزلل، أو أزاحها، وأزلقها. الشيطن علم أو وصف لهذا المخلوق الذي قال الله عنه: «إنّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه، ليكونوا من أصحب الشعير [فاطر: 6]، وهو من«شاط»؛ بمعنى: «غضب»، أو من «شطن»؛ بمعنى: «بعد»، والاشتقاق الأخير أصح؛ فالنون فيه أصلية، ولا شك أن الشيطان أبعد من يكون عن رحمة الله ـ عز وجل ـ. وقوله: «فأزلهما الشيطن عنها؛ أي: عن هذه الشجرة؛ وعلى هذا تكون عن» للسببية؛ كقوله ـ تعالى ـ: «وما فعلته عن أمرى » [الكهف: ٨٢]؛ أي: ما فعلته فعلا صادرا عن أمري، وهنا تكون فأزلهما الشيطن عنها؛ أي: إزلالا صادرا عن هذه الشجرة، وذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في قوله: «عنها يعود إلى الجنة؛ أي: أزلها الشيطان عن هذه الجنة؛ بسبب المعصية التي فعلها آدم؛ كا في قوله ـ تعالى ـ: «وعصى ءادم ربه، فغوى﴾ [طه: ١٢١] فأخرجهما مما كانا فيه ؛ أي: كان سببا في إخراجها مما كانا فيه من النعيم في هذه الجنة؛ وذلك بأن وسوس لها، «وقاسمهما إني لكما لمن التصحين ﴾ [الأعراف: ٢١]، « قال يتقادم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يلى ب فأكلا منها ﴾ [طه: ١٢٠-١٢١]، مع أن الله ـ تعالى ـ قد نهاهما عن ذلك، وحينئذ أمرهما الله ـ تعالى ـ أن يهبطا منها فقال:

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو »، والضمير في قوله: «أهبطوا » يعود على آدم وحواء، ووجة الخطاب إليها بصيغة الجمع إما لأن أقل الجمع اثنان ـ كما قيل به ـ أو لأن الخطاب يشملها ويشمل ذريتها؛ فإن ذرية آدم في صلبه، فإذا هبط هبطت الذرية، وقيل: إن الضمير يعود على آدم، وحواء، وإبليس، وأن الله أمرهم أن يهبطوا إلى الأرض بعد أن كانوا في السماء.

وقوله: «بعضكم لبعض عدو » يعني: أن الشيطان عدو لآدم، وزوجه، وبنيه؛ كما قال ـ تعالى ـ: « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعوا حزبه، ليكونوا من أصحاب الشعير﴾ [فاطر: 6]. وقوله ـ عز وجل -: «ولكن في الأرض مستقر ومتنع إلى حين؟ المستقر : موضع القرار، والمتاع: ما يتمتع به الإنسان من طعام، وشراب، ولباس، وغيره، ولكن هذا المستقر والمتاع مؤجلان إلى أجل، إلى حين، وهو موت الإنسان؛ فإن الإنسان إذا مات انقطع متاعه من الدنيا، وانتقل منها إلى دار الجزاء، وهذا «الحين» غير معلوم، لا بالنسبة لكل واحد من الناس، ولا بالنسبة للجميع؛ فإن الله - سبحانه وتعالى -
قال: «وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن جهل مكان موته فهو بجهل زمان موته أولى، وقال ـ عز وجل ـ عن الساعة: ويسئلونك كأنك خلى عنها قل إنما علمها عند الله ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فوائد وأحكام هذه الآية:
١ - بيان عداوة الشيطان للإنسان؛ لقوله: «فأزلهما الشيط عنها؛ فإن من عداوته أنه كان سببا في إغواء آدم وزوجه حتى خرجا من هذه الجنة التي أسكنها الله ـ عز وجل ـ فيها. ٢- إثبات الأسباب؛ لقوله: «فأخرجهما مما كانا فيه ، وسبب هذا الإخراج أنه لما أكل آدم وزوجه من الشجرة «بدت لهما سوء هما وطفقا تخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وأمرهما الله ـ عز وجل ـ بالخروج منها.

3- ومن فوائد الآية الكريمة: إضافة الشيء إلى سببه، وأن للأسباب تأثيرا في مسبباتها؛ لقوله: «فأخرجهما مما كانا فيه ؟؛لأن الذي أخرجها هو الله - عز وجل ـ، أمرهما أن يهبطا من الجنة، ولكن السبب في هذا الإخراج هو الشيطان، فنسب الإخراج إليه؛ لأنه سببه، ولا ريب

أن الأسباب مؤثرة في مسبباتها، ولكن تأثيرها في مسبباتها من الله - عز وجل ؛ فهو الذي أودع فيها هذه القوة المؤثرة. وقد انقسم الناس في الأسباب على طرفين ووسط؛ فطرف من الناس غلا في إثبات الأسباب حتى جعلها مؤثرة بنفسها، وأنكر ما يخرج عن سنة الأسباب، ومن الناس من فرط فيها ولم يجعل لها أثرا في مسبباتها، وقال: إن المسبب يحدث عند السبب لا بالسبب، وكلا القولين خطأ؛

فإن من المعلوم بالحس والعقل أن الحجر إذا رمي على زجاجة انكسرت به، وأن الورق إذا ألقي في النار احترق بها، ولا أحد ينكر ذلك، ومن قال: إنه احترق عند إلقائه في النار لا بالنار، أو أن الزجاجة انكسرت عند ملامسة الحجر لا بالحجر فقد أبعد النجعة، ولكن نقول: إن الزجاجة انكسرت بالحجر؛ لأن الله ـ تعالى ـ جعل هذه الصدمة سببا للكسر، والورقة احترقت بالنار؛ لأن الله جعل النار محرقة؛ ولهذا إذا أراد الله - عز وجل ـ أن يتخلف المسبب عن السبب تخلف؛ فها هو إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ ألقي في النار العظيمة التي أضرمها قومه المكذبون له؛ ليحرقوه بها، فقال الله ـ تعالى ـ للنار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ [الأنبياء: 69]، فكانت بردا وسلاما عليه ولم يحترق بها، وهذا دليل على أن الله ـ تعالى ـ هو الذي يودع في الأسباب ما يجعلها مؤثرة. وأما من قال: إن الأسباب مؤثرة بذاتها، وإنه لا يمكن أن يتخلف المسبب عن السبب؛ فقوله ـ أيضا ـ خطأ؛ فإن هذا يستلزم إنكار خوارق العادات التي يجريها الله ـ تعالى ـ على غير الأسباب العادية، ولا أحد عنده علم بالسمع أو عقل راجح إلا أنكر هذا القول.

4- ومن فوائد الآية الكريمة: أن آدم وحواء عوقبا بالإخراج من الجنة؛ بسبب معصية واحدة، فما بالك بمن كان عنده من المعاصي ما لا يعلمه إلا الله؟!! أفلا يكون معرضا نفسه للعقوبة العظيمة؟! وإن كان

المعلوم في الشريعة الإسلامية أن المعاصي ـ ما عدا المعاصي المخرجة من الإسلام ـ تحت

مشيئة الله؛ إن شاء الله عذب عليها، وإن شاء عفا عنها وغفر؛ كما قال ـ تعالى ـ: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * [النساء: ٤٨].

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العداوة بين الشيطان وآدم وبنيه؛ لقوله:«بعضكم لبعض عدو »؛ ويتفرع من هذه الفائدة أنه يجب على الإنسان أن يحترز غاية الاحتراز من كيد الشيطان، وألا يخنع له، وألا يأتمر بأمره؛ لأنه عدو، وكل عدو للإنسان فإنه لن يحمله إلا على أسوأ الحالات؛ ولهذا حذرنا الله ـ تعالى ـ من الشيطان بقوله: « إنّ الشيطين لكن عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا جزبه، ليكونوا من أصحب الشعير ﴾ [فاطر: 6]، وقوله: (يأيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطن ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ؟

ع

[النور: ٢١]

-

6 -. ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأرض هي مستقر بني آدم، بـل مستقر آدم وبنيه؛ لقوله: «ولكن في الأرض مستقر ومتنع إلى حين؟ . ـ ومن فوائدها: أن هذا المستقر والمتاع لـن يـدوم، ولـن يؤبـد؛ لقوله: «إلى حين»، وما كان غير دائم ولا مؤبد فهـو سريع الانتهـاء؛ لأن هذا المؤجل ينطوي بالساعات، بل بالدقائق، بـل باللحظات، ولا

يمكن للحظة مرت أن تعود إليك مرة أخـرى؛ ولهذا قيـل: كـل يـوم يمضي على ابن آدم فإنه يبعده من الدنيا، ويدنيـه مـن الآخـرة؛ فيجـب علينا أن نستعد، وأن ننتهز الفرصة بعمل ما يقربنا إلى الله ـ عز وجل ـ.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: * فتلقى ءادم من ربه، كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ؟ .

«التلقي» بمعنى الأخذ عن الغير؛ أي: فأخذ آدم من الله ـ عز وجل ـ كلمات أعلمه الله ـ تعالى ـ بها، ومنها قوله ـ تعالى ـ عـن آدم وزوجـه: وقالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخسرين [الأعراف: ٢٣]، ثم قال: «فتاب عليه »؛ أي: تاب الله على آدم، وكذلك على زوجـه؛

لأن قضيتها واحـدة؛«إنه هو التواب الرحيم»، وهذه الجملة تعليل لما سبق؛ أي: تاب عليه؛ لأنه ـ عز وجل ـ تـواب رحيم، يتوب على من تاب ويرحمه، حتى يكون ـ أحيانا ـ بعد التوبة خيرا منـه قبل فعل الذنب؛ ولهذا لم يحصل الاهتـداء لآدم ـ فـيـهـا نـعـلـم ـ قـبـل أن يتوب إلى الله ـ تعالى ـ مما جرى منه من المعصية.

فوائد وأحكام هذه الآية:
ا۔ منة الله - سبحانه وتعالى ـ على آدم بها ألهمه مـن هـذه الكـلـيات التي كانت بها توبة الله عليه؛ لقوله: «فتلقى ءادم من ربه ؟.

ا۱۸۲ =

أحكام من القرآن الكريم

تمام الملك،
٢۔ أن ربوبية الله تنقسم إلى قسمين: ربوبية عامة تقتضي تمام ا. والتدبير، والتصرف في الخلق، وهي شاملة لجميع المخلوقات، وربوبية خاصة تقتضي العناية والتربية الخاصة، وهـي الـتي تـكـون لـعـبـاد الله المخلصين، ومنها قوله ـ تعالى ـ هنا ـ: «فتلقى ءادم من ربه، كلمات . 3۔ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ تاب على عبده، بل قد قال الله ـ تعـالى ـ في آيـة أخـرى: (ثم أجتبه ربه, فتاب عليه وهدئ ؟ [طه: ١٢٢]، وتوبة الله على العبد تتضمن العفو عن الذنب، وصفحه عن العباد، وعدم المؤاخذة عليهم، وما دمنـا في الـكـلام عـن الـتـوبـة؛ فإننـا نقول: إذا تـاب العبـد إلى الله توبـة نـصـوحًا؛ تـاب الله عليه، والتوبـة النصوح هي التي جمعت شـروطا خمسة:

من

الأول: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ بألا يحمله على التوبة إلا الخوف
الله ورجاء ما عنده من الثواب.

الثاني: الندم على ما وقع منه من الذنوب؛ بحيـث يحـزن، ويتـأثر، ويتمنى أن لم يكن فعل هذه الذنوب.

الثالث: الإقلاع عن الذنب؛ بأن يتخلص منه، فإن كان واجبا قـام به، وإن كان محرما فارقه، وإن

كان للعباد أداه إليهم. الرابع: العزم على ألا يعود في المستقبل.

الخامس: أن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه؛ وذلـك بـأن تكون قبل الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها؛ لأن الشمس إذا طلعت من مغربها لا تقبل التوبة، وإذا حـضـر المـوت لم تقبل التـوبـة؛ لقـول الله ـ تعـالى : (وليست الثوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى ثبت الفن النــــساء: 18]، ولقولـه - تعـالى -: * هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملتيكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض اينت ربك يوم يأتى بعض اينت ربك لا ينفع نفسا إيمنها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في إيمنتها خيرا ﴾ [الأنعـــام: ١٥٨]؛ «وبعـض الآيات» هي طلوع الشمس من مغربها؛ كا فسرها بذلك النبي ﷺ، نسأل الله أن يمن علينا بالتوبة وقبولها؛ إنه جواد كريم.
لہے

٤ـ ومن فوائد الآية: إثبات هذين الاسمين من أسماء الله؛ وهما «التواب» و«الرحيم»؛ التواب: هو الذي يوفق إلى التوبة، ويقبل التوبة من التائب؛ كما قال الله ـ تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ؟ [التوبة: ١١٨]؛ فهو التواب الذي يوفق للتوبة، وهو التواب الذي يقبل
التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، وجاءت بصيغة المبالغة

(١) رواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، رقم (٣٠٧١).

«التواب»؛ لأن هذه صفة لازمة الله ـ عز وجل ـ؛ فمن صفاته الكاملة التوبة؛ ولأن المذنبين الذين يتوبون إلى الله كثيرون، وأما «الرحيم» فهو ذو الرحمة الواصلة إلى من شاء من عباده؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: «يعذب من يشاء ويرحم من يشاء * [العنكبوت: ٢١]

قال أهل العلم: ورحمة الله ـ تعالى ـ نوعان: عامة وخاصة؛ فالعامة: هي الشاملة لجميع الخلق، فإن كل الخلق داخلون في رحمة الله العامة التي بها قوام البدن وقوام الحياة؛ ولهذا نقول: إن الله - سبحانه وتعالى ـ قد رحم الكفار با أعطاهم من نعم الدنيا؛ من عقل، وصحة، وطعام، وشراب، ولباس، ومنكح، ومسكن، وغير ذلك، كما أنه راحم للمؤمنين بهذا؛ وأما الرحمة الخاصة: فهي التي تكون بها سعادة الدنيا والآخرة، وهذه خاصة بالمؤمنين؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ من على المؤمنين با رحمهم به من العلم النافع، والعمل الصالح، والإيمان، والتقوى، قال الله ـ تعالى ـ: «وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال ـ عز وجل -: « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باينينا يؤمنون - الذين يتبعون الرسول النبي الأتئ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والإنجيل ﴾ [الأعراف: 156، 157].

ج

واعلم أن أسماء الله - سبحانه وتعالى ـ تتضمن الدلالة على ذاته

سورة البقرة

١٨٥

وعلى الصفة، وعلى الأثر والحكم إذا كانت متعدية؛ فالعظيم ـ مثلا - اسم من أسماء الله دال على ذات الله ـ عز وجل ـ، وعلى عظمة الله، والرحيم اسم من أساء الله دال على ذات الله، وعلى رحمة الله ـ عز وجل ـ، وعلى الأثر المترتب على هذه الصفة؛ وهو أنه يرحم من يشاء؛ كا قال ـ تعالى ـ: * يعذب من يشاء ويرحم من يشاء * [العنكبوت: ٢١]

ثم قال ـ سبحانه وتعالى -: «قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قوله: «قلنا اهبطوا منها جميعا * ؛ كالتوطئة والتمهيد لما بعده؛

يعني: اهبطوا من الجنة جميعا، وسوف يأتيكم الهدى مني. وينقسم الناس في هذا الهدى إلى قسمين: قسم يتبع هدى الله؛ فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقسم آخر يكفرون ويكذبون بآيات الله؛ وهؤلاء هم أصحاب النار هم فيها خالدون. يقول الله - عز وجل -: «أهبطوا منها جميعا »، نقول في الخطاب -

هنا ـ في قوله: «أهبطوا » ما قلناه في الخطاب السابق. وقوله: «فإما يأتينكم مني هدى»، هذه الجملة شرطية؛ فيها: «إن» الشرطية المدغمة بـ«ما»، وفعل الشرط فيها «يأتينكم»،

وجواب الشرط

=١١٨٦

أحكام من القرآن الكريم

مركب من قوله: «فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم تحزنون . والمعنى : إن أتاكم مني هدى فإن من اتبع هذا الهـدى فـليس عليه خوف مما يستقبل، ولا حزن على ما مضى، أما كونه لا خـوف عـليه في المستقبل؛ فلأنه عمل ما يحـصل بـه الأمـن مـن اتبـاع هـدى الله ـ عز وجل ، وأما كونه لا يحزن؛ فلأنه استغل وقته في طاعة الله - عز وجل - فلا يحزن على ما مضى منه؛ لأنه لم يفرط بل اكتسب فيـه خـيرا، والـذي يحزن هو الذي يفوته مطلوبه أو يحصل له مرهوبه، وأما الكافر المكذب بآيات الله؛ فهذا جزاؤه أن يخلد في نار جهنم (أولنيك أصحب النار هم فيها خلدون ﴾ [البقرة: 39]، وأصحاب النار هـم أهلهـا الملازمـون لهـا، والخلود هو المكث الدائم، هذا هو الأصل في الخلود إلا أن يقوم دليـل على أن الخلود مؤقت فيتبع الدليل.

من فوائد هذه الآية:
1ـ أن من حسن التعليم، والتوجيه، والإرشـاد التوطئة للكـلام والتمهيد له، حتى وإن حصل في ذلك تكرار؛ لقوله: «قلنا اهبطوا منها جميعا ، مع قوله فيها سبق: « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوه. ٢ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ برحمتـه وحكمتـه لم يكـل الأمـر في عبادته إلى عقول البشر، بل جاءهم بما فيه هـدى، وذلـك عـن طـريق الرسـل ـ عليهم الصلاة والسلام ؛ كـا قـال ـ تعالى ـ: « لقد أرسلنا

سـورة البقـرة

١٨٧

رسلنا بالبينت وأنزلنا معهم الكتب والميزات ليقوم الناس بالقسـط »
[الحديد: ٢٥].

3ـ أن ما جاء به الرسل هدى يهتدي بـه النـاس في ظلمات الجهـل والكفر.
4- أن الهدى من الله؛ ويتفرع عن هذا ألا تطلب الهدى إلا من الله - عز وجل ـ فتكون ـ دائها ـ

ملحا على ربك بطلب الهداية حتى تستقيم على أمر الله على بصيرة من الله ـ عز وجل ـ.
ع
5ـ أن الله أضاف هذا الهدى إلى نفسه؛ ليعلم أن هـذا الهـدى حـق ليس فيه باطل، ولا تناقض، ولا اختلاف؛ قال الله ـ تعالى ـ: * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلًا لا مبدل لكلمته، وهو السميع العليم » [الأنعام: 115]، وقال ـ تعالى ـ: « أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلفا كثيرا ﴾ [النساء: ٨٢].
6 - أن من اتبع هدى الله فقـد نـجـا وسـلم، وأمـن مـن الخـوف في المستقبل، ومن الحزن على ما مضى.
7- أن المؤمن المتبع لهدى الله هو الذي غنم؛ غنم وسلم، فلا يحـزن على ما مضى من زمانه؛ لأنه استغله فيها ينفع، ولا يحزن على ما يستقبل؛ لأنه قد وعد بالثواب الجزيل، والنجاة من العقاب؛ لاتباعه هـدى الله عز وجل.

= ١١٨٨

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « والذين كفروا وكذبوا بقايتنا أولتيك أصخب
آلثار هم فيها خلدون »

هذه الآية الكريمة قسيمة للآيـة التـي قبلهـا؛ فـإنّ الله ـ سـبحانه وتعالى ـ ذكـر في الآية التي قبلها ثواب الذين اتبعـوا هـدى الله بالإيمان والعمل الصالح، وذكـر ـ هنا ـ ما يقابلهم من الكفار الذين جمعـوا بـين الكفر والتكذيـب، بين الكفر وهو الاستكبار عن آيات الله ـ عز وجل - وترك العمل بها، والتكذيب بـالخبر؛ فهـم كـافرون بـالأمر، مكذبون بالخبر، مكذبون ما أخبر الله به في كتبه المنزلة، ومـا أخـبرت بـه رسـله، وهؤلاء القوم الذين كفروا وكذبوا بآيات الله هم أصحاب النار، أهلها الملازمون لها، المخلدون فيها.

فوائد وأحكام هذه الآية:
١ كال هذا القرآن؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ إذا ذكـر فـيـه أهـل الجنة وثوابهم ذكر بعد ذلك أهل النار وعقابهم في الغالـب، وهـذا مـن معنى قوله ـ تعالى ـ: «الله نزل أحسـن الحديث كتبا متشبها مثانه [الزمر: ٢٣]. أي: تثنى فيه الأحكام والمعاني، ولا ريب أن هذا مـن كـال البلاغة؛ فإن الإنسان لو أتـاه الخطـاب بالرجـاء دون التخويف لأدى ذلك إلى الأمن من مكر الله، ولو جاءه الخطـاب بالتحذير والتخويف لأدى ذلك إلى القنوط من رحمة الله، فجاء القـرآن الكـريـم

عند الله بالتقسيم والمقابلة، إذا ذكر شـيئا ذكـر مـا يقابلـه حتـى يبقى الإنسان دائرا بين الرجاء والخوف؛ ولهذا قال الإمام أحمـد: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا؛ فإن غلب أحدهما هلك صاحبه. ٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن التكذيب بآيات الله كفر مـوجـب للخلود في النار، ولكن التكذيب أحيانًا يذكر وحـده، وأحيانًـا يـذكر مقرونا بالكفر، فإذا ذكر مقرونا بالكفر حمل على تكذيب الخبر، وحُمل الكفر على ترك الأمر.

وآيات الله ـ سبحانه وتعالى ـ تنقسم إلى قسمين: آيات كـونيـة، وآيات شرعية؛ فالآيات الكونية هي مخلوقات الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ فإن المخلوقات آيات دالة على الرب ـ عز وجل ، والتكذيب بها؛ أي: بالآيات الكونيـة يـكـون بإضافة هـذه الآيـات إلى غير الله؛ كالـذين يضيفونها إلى الطبيعة، أو بإثبات مشارك الله فيها؛ كالذين يقولون: هـذا الشيء أوجده الـولي الفـلاني مـع الله، أو باعتقـاد أن الله ـ تعـالى ـ فيهـا معينا، فكل هذا من التكذيب بآيات الله والإلحاد فيها.

وأما الآيات الشرعية فهي ما جاءت به الرسـل ـ عليـهـم الـصلاة والسلام ـ من الكتب المنزلة من عنـد الله؛ لأن هـذه الكـتـب فيهـا مـن التعظيم للخلق في عبادتهم ومعاملاتهم مـا يعجـز البـشـر عـن مثـلـه والقرآن الكريم قد تحدى الله بـه الخلـق جميعـا أن يأتوا بمثلـه ؛ قـال -

تعـــالى -: «قل لين اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله، ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: ٨٨]، بـل قـال ـ عـز وجـل : «أم يقولون أفترنه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريت ﴾ [هود: ١٣]، بـل تحـداهـم أن يـأتـوا بـسـورة مـن مثـلـه؛ قـال - تعالى -: «أم يقولون أفترنه قل فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: ٣٨].

٣ـ ومـن فـوائـد الآية الكريمـة: أن الكفـار المـكـذبين بآيات الله ملازمون للنار؛ لأنهم أصحابها لا يخرجون منها أبدا؛ كما قال ـ تعالى ـ: وما هم بخرجين من النار [الحجر: ٤٨].

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الخلود في النار، وهـو خـلـود مؤبد ذكر الله - سبحانه وتعالى ـ تأبيـده في ثـلاث آيات مـن كـتـابـه؛ في سورة النساء في قوله: «إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا [النساء: 168، 169]، وفي سورة الأحزاب في قوله: «إن الله لعن الكفرين وأعد لهم سعيرا - خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ [الأحزاب: 64، 65]، وفي سورة الجـن في قوله: «ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ [الجن: ٢٣]؛ ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة تأبيـد الجنـة وتأبيد النار أيضا، وأنه لا فرق بينها، وإن كان قد وجـد خـلاف يسير لكنه مرجوح، والخلاف الذي وقع هو أن بعض السلف روي عنهم أن

النار غير مؤبدة، لكنه قول مخالف لصريح القرآن؛ فلا يعول عليه، قـال الله ـ تعالى ـ: « والذين كفروا وكذبوا بتايتنا أوليك أضحت النار هم فيها خلدون * [البقرة: 39].

ثم قال الله ـ سبحانه وتعالى -: «ينبني إسراويل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليك وأوفوا بعهدئ أوف بعهدكم وإينى فأرهبون؟ . الخطاب هنا موجه لبني إسرائيل؛ وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم الصلاة والسلام ـ؛ ويعقوب هو أبو يوسف، وهو أبو بني إسرائيل؛ فإنهم كلهم يجتمعون فيه، ومعنى إسرائيل: العابد الله، واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم »؛ يعني: تذكروها بقلوبكم، واذكروها بألسنتكم؛ لتقوموا بشكرها، فتتبعوا محمدا ﷺ وتؤمنوا به، والتي أنعمت عليكم »؛ يعني: في السابق واللاحق؛ لأن بني إسرائيل أمة واحدة سابقهم ولاحقهم؛ ولهذا يذكر الله ـ تعالى ـ ما أنعم به على بني إسرائيل في عهد موسى ممتنا به على بني إسرائيل الموجودين في عهد الرسول ﷺ؛ لأنهم أمة واحدة، وأوفوا بعهدت أوف بعهدكم»؛ يعني: أوفوا بعهدي الذي عاهدتكم به؛ وعليه أوف بعهدي الذي عاهدتكم به وعليه، وهذا العهد مبين في قوله ـ تعالى ـ: (ولقد أخذ الله ميثق بني إسرءيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا

ع
وقال الله إني معكم لين أقمتم الصلوة و انيثم الزكوة و امنثم برسلى وعززتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلتكم جئت تجري من تحتها الأنهر فمن كفر بعد ذالك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [المائدة: ١٢]، فالعهد الذي أخذه عليهم هو قوله: «لين أقمتم الصلوة و اتيتم الزكوة وامنثم يرسلى وعززتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ [المائدة: ١٢].

والعهد الذي لهم على الله أوجبه - عز وجل ـ على نفسه: لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلتكم جنت تجري من تحتها الأنهر [المائدة: ١٢]، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا؛ ولهذا قيل: إنه يرجع في تفسير القرآن إلى القرآن، ثم إلى السنة، ثم إلى تفسير الصحابة، ثم إلى تفسير كبار التابعين.

والله - سبحانه وتعالى ـ كا أمرهم أن يوفوا بعهده ووعدهم أن يوفي بعهدهم أمرهم أن يرهبوه؛ حيث قال: «وإيى فأرهبون»؛ والرهبة هي أشد الخوف.
فوائد هذه الآية الكريمة:
١- في هذه الآية من الفوائد تذكير بني إسرائيل بنعمة الله - سبحانه وتعالى ـ عليهم في السابق واللاحق.

٢ـ ومن فوائدها: أنه يجب على المرء أن يذكر نعمة الله عليه وعلى من سبقه حتى يحدث بذلك شكرا لله على هذه النعمة؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المتفضل بالنعم أولا، وهو الذي يتفضل بها ثانيا؛
بإعانة الإنسان على شكر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه. 3ـ ومن فوائدها: بيان كرم الله ـ عز وجل ـ؛ حيث جعل على نفسه عهدا أن يوفي لمن أوفى بعهده؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وأوفوا

بعهدئ أوف
بعهدكم *.

٤ـ ومن فوائدها: إثبات الصفات الفعلية لله ـ عز وجـل ؛ لقوله:
«أوف بعهدكم ؟.

هـ ومن فوائدها: توحيد الله - سبحانه وتعالى ـ بالرهبة؛ لقوله: وإيى فأرهبون»، والإنسان لابد له من رغبة ورهبة؛ رغبة فـيا عنـد الله، ورهبة فيها يفعله من أسباب عقوبة الله ـ عـز وجـل ؛ فـالله عنـده الثواب العظيم للمحسـن، وعنده العقاب الأليم للمسيء؛ كـا قـال - تعـالى -:* نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم (وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ [الحجر: 49، 50]، وقـال ـ تعـالى : (وإذ تأذت ربكم لين
شكرتم لأزيدنكم ولين كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم: 7].

1945

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: (وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به، ولا تشتروا بقايتى ثمنا قليلا وإينى
فائفون» .

معهم
الخطاب هنا لبني إسرائيل على سياق الخطاب السابق؛ فقد كان في المدينة من بني إسرائيل في عهد النبي ﷺ ثلاث قبائل: «بنو النضير»، و «بنو قينقاع»، و«بنو قريظة»، فوجه الله إليهم هذا الخطاب: أن يؤمنوا با أنزل مصدقا لما معهم؛ يعني: لما معهم من التوراة، والتصديق لما له معنيان: الأول: أنه جاء مطابقا لما أخبرت به، والثاني: أنه شاهد لها بالصدق؛ فهو مصدق لها؛ أي: شاهد لها بالصدق، وهو مصدق لها؛ أي: واقع على حسـب ما أخبرت به؛ كما قال الله - تعالى -: ـ
و الذين يتبعون الرسول النبي الأني الذي تجدونه مكتوبا عندهم في الثورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهتهم عن المنكر وجل لهم الطيينت وتحرم عليهم الخبيث ويضع عنهم إضرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به، وعززوه ونصروه واتبعوا الثور الذي أنزل معه أولتيك هم المفلحوت ﴾ [الأعراف: 157].

ج

وقد شهد القرآن الكريم بأن التوراة والإنجيل كليها من عند الله -
عز وجل -، وقوله ـ تعالى ـ: (ولا تكونوا أول كافر بي »، الخطـاب - هنا ـ من الله لبني إسرائيل؛
حيث ينهاهم عن أن يكونوا أول كـافـر بـه

وقد استشكل بعض أهل العلـم قوله: «أول كافر به »؛ حيـث كـان
مفردا مع أن الخطاب إلى جماعة، وأجيب عن ذلك بأن المراد: لا تكونوا أول فريق كافر به،
والفريق جمع؛ يعني: لا تكونوا أول من يكفر به مع أن عندكم علما بأنه حق؛ كما قال الله ـ
تعالى ـ: « الذين اتيتهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فإنـه إذا كنتم أول
فريـق كافر به مع علمكم بأنه حق كان ذلك أشد وأقبح.
ثم قال: «ولا تشتروا بنايتي ثمنا قليلا »؛ أي: لا تأخذوا ثمنا قليلا بدلا عن العمل بآياتي، وذلك
بتقديم الرئاسة على ما جـاء بـه الـرسـول ؛ فإن بني إسرائيل كانوا يستفتحون عـلى الـذين
كفروا ويقولون: يبعث نبي، ونتبعه، ونغلبكم، ولما بعث محمد ﷺ مـن بنـي إسماعيل
حسدوهم، وقالوا: إن هذا ليس هو النبي الموعود، فاشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً؛ ليبقوا عـلى
رئاستهم، ولكـن صـار الأمـر بـالعكس ـ والله الحمد ـ؛ فلم يبقوا على رئاستهم، بل فتح
المسلمون بلادهـم؛ ففتحـوا بلاد الشام وهي مستوطن الروم النصارى، وفتحوا بلاد العراق
وهـي مستوطن المجوس الفرس، واستولى ـ ولله الحمد - المسلمون على بـلاد هؤلاء،
فأورثهم الله أرضهم، وديارهم، وأموالهم.

ثم قال ـ تعالى ـ: «وإينى فاتقون»، نقول في هذه الآية مـا سـبق في قوله: «وإينى فأرهبون»،
وهنا أمرهم بالتقوى؛ والتقوى: اتخاذ الوقاية

من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

1ـ أن اليهود والنصارى مخاطبون بالإيمان بما جاء به محمد ﷺ ملزمون به، وعندهم شاهد على صدقه؛ حيث كان ما جاء به محمد ﷺ مصدقا لما معهم؛ وعلى هذا فإذا كفروا به لم يكونوا مؤمنين، وإن قالوا: نحن نؤمن بالله واليوم الآخر، فإنهم لا يتم لهم ما أرادوا حتى يؤمنوا بمحمد ﷺ؛ ولهذا أقسم ﷺ أنه لا يسمع به يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بها جاء به إلا كان من أصحاب النار؛ حيث قال : «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النّار».

٢ـ ومن فوائدها: أن القرآن منزل من عند الله، والقرآن ـ كا نعلم - كلام، فإذا كان نازلا من عند الله وهو كلام؛ فلا يكون إلا بمتكلم به؛ فدل هذا على أن القرآن كلام الله، وهذا ما أجمع عليه سلف الأمة: أن القرآن كلام الله منزل.

٣ـ ومن فوائدها: إثبات على الله؛ لقوله: (بما أنزلت» والإنزال لا يكون إلا من فوق، وإذا كان الكلام كلام الله، وهو صفة من صفاته،

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم

(١٥٣).

ووصف بأنه منزل؛ دل على أن المتكلم به عالم فوق العباد ـ سبحانه وتعالى.

٤ـ ومن فوائدها: أن الإنسان كلما كان معه الحق يستطيع أن يتبعه، ولكن لو نكص على عقبيه كان أشد لوما من الإنسان الجاهل؛ لقوله: وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم»؛ فإن قوله: «مصدقا لما معكم * كالبرهان الملزم لهم بالإيان؛ لأن هذا القرآن لم يأت بأمر غريب لا يعرفونه، بل أتى بأمر يعرفونه ويعلمون أنه حلق، لكنهم استكبروا وأبوا؛ حسدا من عند أنفسهم.

هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن بني إسرائيل ـ با عندهم من العلم بأن ما جاء به محمد ﷺ

حـق ـ كـان الأليـق بـهـم أن يكونوا أول مؤمن به، ولكنهم كانوا كافرين بـه؛ ولهذا قـال: «ولا تكونوا أول كافر به * مع أن قريشا كانوا كفروا به من قبل، لكن لما كانت قريش لـيس معهم كتاب، وهؤلاء معهم كتاب يصدقه ما جاء بـه محـمـد ﷺ كانوا أول كافر به مع العلم بأنه حق.

6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما في الدنيا قليل ولو كثر؛ لقوله: «ولا تشتروا بنايتي ثمنا قليلا »

ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يجوز طلب العلم الشرعي مـن أجل الدنيا؛ لأن طلب العلـم الـشرعي مـن أجـل الدنيـانـوع مـن

الاشتراء بآيات الله ثمنا قليلا؛ ولهذا جـاء في الـحـديـث عـن النبى ﷺ «من طلب علها وهو مما يبتغي به وجه الله لا يريد إلا أن ينال عرضا مـن الدنيا لم يرح رائحة الجنة»(1).

٨ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب تقـوى الله وإفراده بـذلك؛ لقوله - تعالى -: «وإيى فاتقون»؛ فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، ولا ينافي هذا قولـه ـ تعالى ـ: «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة: ٢٨١]؛ لأن المراد في قوله: «وإينى فأتقون» اتقوا ما يكون في هذا اليـوم مما يقدره الله ـ عز وجل ـ من الأهوال العظيمة والعقاب لمن كذب.

ثـم قـال ـ تعـالى -: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالبطل وتكتموا الحق وأنتم
تعلمون) ؟ .

فالخطاب هنا لبني إسرائيل؛ لأن السياق واحـد، ومعنى قوله: تلبسوا »؛ أي: تخلطوا الحق بالباطل حتى يلتبس ويشتبه على الناس، والحق في اللغة: الشيء الحق؛ أي: الثابت الذي لا يتزعزع، والباطـل عكسه؛ أي: الشيء الذاهب سدى، الذي لا يثبـت، ولا يبقى، والمراد

(١) الحديث في أمالي ابن الشجري (١/ ٤٣)؛ وإتحاف السادة المتقين، للزبيدي (١/ ٣٦٣)؛ والمغني عن حمل الأسفار، للعراقي (١/٦١)؛ انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف

(369/8).

بالحق ـ هنا ـ ما جاءت به الرسل من وحي الله ـ عز وجل ؛ كـا قـال ـ تعالى -: «وتمت كلمت ربك صدقا وعدلًا﴾ [الأنعام: 115]، والباطل مـا خالف ذلك، وبنو إسرائيل عندهم الأحبـار والرهبـان يخلطـون الحـق بالباطل كالكهان، يصدقون مرة واحدة ويكذبون مائة مرة؛ فهؤلاء - أيضا ـ يأتون بالحق؛ ولكن من أجل التمويه حتى يقـول القائل: هـذا الذي قاله حق، ثم يلحق به كل ما قالوه مـن الباطـل؛ فيلتبس الأمـر؛ ولهذا قال: «ولا تلبسوا الحق بالبطل»؛ أي: لا تخلطوه به حتى يلتبس
ويشتبه.

وتكتموا الحق وأنتم تعلمون»، وهذه طريقة أخـرى مـن طـرقهم أنهم يكتمون الحق، فلا يبدونه؛ خوفـا مـن أن يتبعـه النـاس، وهـم لا يريدون من الناس أن يتبعوا الحـق؛ بـل يـريـدون أن يتبعـوا أهـواءهم، وجملة (وأنتم تعلمون * حال من الفاعل في قوله: « ولا تلبسـوا »، وفي قوله: (وتكتموا»؛ أي: تعلمون أنكم فعلتم ذلـك فكتمتم ولبـستم، وهذه الجملة الحالية تفيد بيان مأخـذ اللـوم عـلـيـهـم، وأنهـم لم يفعلـوا هذا الفعل ـ وهو لبس الحق بالباطل أو كتمان الحق ـ عن جهـل مـنهم، ولكن عـن عـلـم وإصرار، فيكـون هـذا أظهـر في عنـادهم وأبيـن في استكبارهم عن الحـق.